تعريف الدين (قراءة معاصرة)

التدين حالة ورثها الناس منذ عهد الإنسان البدائي في العصور القديمة من حياة البشر، وهي حالة وجدت في مختلف الأزمنة، ومستمرة الى يومنا هذا، وإذا تفاوتت في شكلها وتنوعت فيه الفرق والمذاهب فان تفسيراً لم يطل مفردة (الدين) بعينها، لكننا نتساءل هنا هل يمكن العثور على معنى ثابت واساسي للدين، وهل يمكن الوصول الى معنى مشترك يلتقي فيه دين نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم افضل الصلاة والسلام)، وهي الاديان الالهية السماوية وبوذا وغيرها بوصفهما اديانا بشرية أرضية للإجابة عن هذا السؤال لا بد لنا أولاً من دراسة معاني الدين في المصادر اللغوية والدينية .

مفردة الدين في اللغات المختلفة :-

تعد مفردة الدين من المفردات المشتركة بين اللغات السامية والايرانية، والدين في اللغة العربية والفارسية لفظ يصنف على انه من الاضداد لاشتماله على معانٍ متفاوتة منها على سبيل المثال المذهب والملة والشريعة والمنهاج والحساب والقضاء والجزاء والسلطان والذل والخضوع والانقياد وكذلك العبادة الى غير ذلك من المعاني

لكن تلك التعاريف التي تعرضها المعاجم والقواميس عاجزة عن كشف حقيقة مفهوم الدين اليوم وماهيته.

لذا لا بد لنا ان نقف على مفهوم الدين اليوم، وقد قدم المفكرون الغربيون بما فيهم الفلاسفة والمتكلمون وعلماء النفس والاجتماع حتى الآن تعاريف معيارية وصفية وأخرى وظائفية وتركيبية في موضوع الدين ومن تلك التعاريف ما عرفه تي ميل : إذ عرف الدين بأنه وضع روحاني وحالة فذة محترمة تسمى الخشية.

ويعرفه وليام جيمس بأنه : الاحاسيس والافعال والتجريبات التي يجدها الناس في خلواتهم مع الله .

أما التعريف الوصفي للدين فقد عرفه سبنسر فقال : ان الدين هو الاعتراف بحقيقة مفادها ان جميع الموجوادت تجليات لقوة أسمى من علومنا ومعارفنا.

أما التعريف الوظيفي للدين فقد عرفه براولي فقال ان الدين قبل كل شيء هو جهد يسعى الى اكتناه الحقيقة الكاملة للخير في جميع أرجاء وجودنا.

بينما يذهب ريناخ عالم الاثار الفرنسي الى ان الدين مجموعة من الأوامر والنواهي التي تقف مانعاً في وجه الاداء الحر لقدراتنا .

أما التعاريف التركيبية وتنطوي في مضمونها على تعاريف عقائدية – اخلاقية، أو عقائدية رمزية، أو عقائدية أدبية.

ونذكر من هذه التعاريف ما ذهب اليه دوبيلاري عالم الاجتماع البلجيكي حيث أرتاى ان الدين نظام موحد من المعتقدات والآداب المرتبطة بحقيقة سامية ومتعالية على التجربة، هي توحد كل اتباعها، والمؤمنين بها، لتأسيس مجتمع أخلاقي موحد.

نستنتج مما تقدم ان التعاريف الوظائفية والتركيبية التي عرفها المفكرون الغربيون للدين بنظرة علمية اجتماعية تفتقد للجامعية المانعية (جامع مانع) .

هذا فيما يخص تعريف الدين عند الغربيون

أما تعريف عند المفكرين المسلمين

فقد استعرض الحكماء والمتكلمون والمفسرون المسلمون تعريفاتهم لحقيقة الدين بعيداً عن الاساليب الاحادية فلم يعرفوه باسلوب عقائدي أو وظائفي أو وصفي كما عرفه الغربيون، بل اختاروا منهج التعريف الشامل الجامع وعلى سبيل المثال

يقول العلامة الطباطبائي : الدين هو مجموعة المعتقدات والقوانين التي تناسبها مما له جانب عملي في الحياة.

ويعرفه الشيخ السبحاني فيقول : هو ثورة فكرية تقود الإنسان الى الكمال والترقي في جميع المجالات .

ويعرفه العلامة الجوادي فيقول : انه مجموعة العقائد والاخلاق والقوانين التي جاءت لإدارة شؤون المجتمع البشري، وتربية الإنسان، فإذا كانت صفة سمي الدين بالدين الحق.

لكن التعريف المختار كما يرى الشيخ : عبد الحسين خسروبناه : يجب ان استعراضه من خلال زوايا مختلفة هي : المنحى التجريبي، والعقلي، والنقلي

ويقصد بالمنحى التجريبي، المنحى الذي يعتمد على دراسة جميع مصاديق الدين، بما يعم الاديان الالهية والوضعية (من وضع البشر)، والتوحيدية وغير التوحيدية، ثم الوصول الى نتيجة هذه الدراسة .

أما المنحى العقلي : فيقوم بدراسة مدعيات الاديان، وذلك من خلال توظيف القواعد المنطقية، كما يعتمد على توظيف القواعد لإثبات وجود اله حكيم مستجمع لجميع الكمالات .

وحقيقة الدين في هذا المنحى تتجلى بمبدأ فاعلي الهي ومبدأ غائي محقق للسعادة.

أما المنحى النقلي (النصوص الدينية)، وهو المنحى الذي يمكن توظيفه في معرفة حقيقة الدين من خلال مراجعة المصادر الدينية، ويمكن للبحوث في هذا المنحى لدراسة هذه المفردة ان تسهم في معرفة حقيقة الدين .

وخلاصة ما تقدم نقول : ان حقيقة الدين هي التعاليم المبينة للجزاء الأخروي المترتب على الرؤى والمناهج والسلوكيات الدنيوية، بما يضمن نجاة الإنسان وسعادته فإذا كانت التعاليم مستندة الى الله جل وعلا كان الدين حقاً وإلهياً .